

الافتراء والبهتان

من الصفات الذميمة التي راجت وانتشرت في عصرنا هذا صفة الافتراء، واختلاق التهم الباطلة ونسبتها إلى الناس كذباً وزوراً، وتحميلهم إياها، وإصاقها بهم بدون حق.

هذا هو الافتراء: أن تسند قولاً أو فعلاً سيئاً لشخص لم يقم به، بقصد تشويهه ومحاولة النيل منه.

لقد حذر الله - سبحانه وتعالى - من هذه الظاهرة السيئة فقال:
{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ }.

أي لا أحد أشد عقوبة ممن يخلق على الله الأكاذيب، ويدعي على الله ما لم يقله، ويفتري على الله الكذب، فهذا مثواه جهنم، وجزاه النار والعياذ بالله؛ لأنه اقترف فعلاً عظيماً، وعمل ذنباً كبيراً، وهو كبيرة الافتراء.

ويقول - سبحانه وتعالى - محذراً من الافتراء: { إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ }. فنفى عنهم الإيمان، ووصمهم بالكذب والبهتان، وقال - جل وعلا - : { قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ }.

فنفى عنهم الفلاح، فلا يفلحوا في الدنيا، ولن يفلحوا في الآخرة، ويقول
- سبحانه-: {وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَاهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}.

إننا نلاحظ من خلال هذه الآيات العظيمة أن الوعيد على أهل الافتراء
شديد، والأحكام عليهم قوية، وما ذلك إلا لعظم هذا الذنب وخطورته،
فهو ذنب يحوي عدداً من الذنوب، ويشتمل على عدد من الموبقات،
حيث يتضمن الكذب، وشهادة الزور، والوقعة بالفتنة بين الناس،
ويحتوي أيضاً على مجانبة الحق ومخالفة الحقيقة، وكل ذنب من هذه
الذنوب عظيم بذاته؛ فكيف إذا اجتمعن كلهن في ذنب واحد؟ كيف
ستكون حرمة وغلظته؟!

أيها الناس: إن من صور الافتراء المنتشرة بيننا اليوم: الافتراء على
الله - سبحانه وتعالى - والتألي عليه، والتحدث باسمه - جل وعلا - فيما
لم يقله، والافتاء في دينه بغير علم، كل هذا من الافتراء الذي قال عنه:
{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ
الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}.

فلعنهم، وبين استحقاقهم لغضب الله ومقته، والطرده من رحمته، وسماهم
ظالمين. وقال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ
إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ

الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ
الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ
آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}.

وهناك آيات كثيرة في القرآن ينكر الله فيها على الكفار افتراءاتهم
عليه، كفرية نسب الولد إليه، وكفرية إقرار الاشرار به وادعاء صحة ذلك،
وكفرية التحليل فيما حرمه الله، وتحريم ما أحله الله، وكفرية الكذب عليه،
ونسب العادات القبيحة إليه، وغيرها من الافتراءات والبهتان.

ومن الافتراء الكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-،
ونسب الأحاديث الموضوعة إليه، وتعمد الكذب عليه، كأن يقول:
قال رسول الله كذا، ولم يقله، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ
كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ". متفق عليه.

إن هذه الظاهرة الخطيرة منتشرة اليوم في مجتمعنا انتشار النار في
الهشيم، فبات بعضنا لا يتكلم إلا بالافتراء على الآخرين، واتهامهم
بأشياء لا شأن لهم بها، ولا علم لهم بشيء منها، وكم من صديق يفترى
على صديقه من أجل أن يُظهر نفسه أمام الناس أنه الأفضل منه، أو
من أجل مصلحة ما، أو من أجل مكسب أو منصب معين؟

وكم من مجالسنا هنا وهناك لا يخلو من الحديث عن الآخرين بالسوء
والكذب؟ وكم من أبٍ وأمٍّ لا يربون أطفالهم إلا على الافتراء والكذب

والبهتان؟!

وكم من ادعاءات واعتراضات أغلبها هراء وافتراء على عباد الله،

وتلفيق واضح عليهم، ونسب التهم الباطلة لهم، وتحميلهم ما لم يحتملوا، واتهامهم بما لم يفعلوا، وتحميل كلامهم أكثر مما يحتمل، وكل هذا من الافتراء. وصارت واقع التواصل في وقتنا الحاضر من أسهل الوسائل وأبسطها للقيام بأمور كهذه، فبضغطة زر واحدة تُرسل آلاف الرسائل التي تلفق تهماً على الناس وتشوّه سمعتهم. بل يفترى الإنسان أحياناً على زوجته أمام أهلها أو أمام أهله، ويقول أنها مقصرة في كذا وكذا وهي غير مقصرة، أو هي تفترى عليه وتقول رجل بخيل ورجل كذا وكذا، مع أنه رجل كريم وينفق عليها، ويعطيها ما يكفيها، ويحصل هذا أيضاً بين الأخ وأخيه، وبين الجار وجاره، والصديق وصديقه.

ولكن كل هذه الافتراءات تنتهي وتزول، ولا يبقى في النهاية إلا الحق والصدق، كما قال تعالى: **{ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ }**.

وأمرنا ربنا -تبارك وتعالى- أن لا نهتم بهذه الافتراءات ولا نبالي بها كثيراً، فإنها لن تدوم طويلاً، ولن يصح في النهاية إلا الصحيح، كما قال تعالى: **{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ }**.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والعضات
والذكر الحكيم، قلت ما سمعتم، واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه،
وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك
نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: عباد الله: إن الافتراء محرم شرعاً، ومجوج عرفاً، وممقوت أدباً،
ولا يلجأ إليه إلا دنيء، ولا يمارسه إلا من في قلبه رقة في الدين، وانخرام
في المروءة، وعدم مراقبة لله - سبحانه وتعالى -، نسأل الله السلامة
والعافية.

كيف يفترى الإنسان على الناس الأكاذيب، ويخلق عليهم التهم،
ويرميهم بالأقويل التي لم يقولوها، وينسب إليهم الأفعال التي لم يفعلوها؟
هل يرضى لنفسه هذا؟ وهل يرضى أن يفعل به الناس كما يفعل بهم؟
يقول الفضيل بن عياض - رحمه الله -: "في آخر الزمان قوم بَهَّاتون،
عيَّابون فاحذروهم؛ فإنهم أشرار الخلق، ليس في قلوبهم نور الإسلام، وهم

أشرار، لا يرتفع لهم إلى الله عمل".

عباد الله: من أشهر قصص الافتراء: الافتراء العظيم، والبهتان الكبير، الذي ذكره الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العظيم في حق أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها وأرضاها -، عندما أتهمها أهل النفاق والإفك والافتراء بفاحشة الزنا، وأنزل الله في براءتها آيات تتلى إلى يوم القيامة، يقول فيها: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ }.

هذا وصلوا وسلموا على من أمركم ربكم جل جلاله بالصلاة والسلام عليه فقال: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }.

اللهم أعذنا من الافتراء والبهتان، ونجنا من الكذب والنور والعصيان، وحبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا الله صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم ارضَ عن خلفائه الراشدين والأئمة المهديين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحابة والتابعين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل

في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم. اللهم أعز الإسلام
والمسلمين، اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان يا رب العالمين،
اللهم من أراد بالإسلام والمسلمين سوءاً، فاشغله بنفسه، واجعل تدبيره
تدميراً عليه يا سميع الدعاء. اللهم أدِّمْ علينا في بلادنا الأمن والطمأنينة،
اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم اجعلهم رحمة على العباد والبلاد،
اللهم ارزقهم البطانة الصالحة، وأبعد عنهم بطانة السوء يا رب العالمين.
اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن. اللهم أصلح أحوال
المسلمين، وارفع ما بهم من الضر والبلاء. اللهم عجل بالفرج لإخواننا
المبتلين المسلمين في كل مكان اللهم أنزل عليهم الأمن والطمأنينة، اللهم
نجِّهم من الكرب، ومن الفجائع والشدائد يا رب العالمين. اللهم اغفر لنا
ولوالدينا، وارحمهم كما ربَّونا صغاراً. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة
أعين، واجعلنا للمتقين إماماً، اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة
حسنة، وقنا عذاب النار.